

باب اللَّبْوَةِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبِرِ (١)

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ: قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنٍ مَنْ يَدْعُ ضَرًّا غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرَرِ وَيَكُونُ لَهُ فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظْ وَرَاجِرٌ عَنِ ارْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ لغيرِهِ.

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: إِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يَسُوؤُهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَقَةِ وَسُوءِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَلَّةِ الْعِلْمِ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حُلُولِ النُّقْمَةِ وَبِمَا يَلْزِمُهُمْ مِنْ تَبَعَةِ مَا اكْتَسَبُوا مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ، وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرٍ بَعْضٌ بِمِثْلِهِ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَيَبَالَ مَا صَنَعَ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ وَحَقِيقُ الْأَلَّا يَسْلَمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ، وَرَبِمَا اتَّعَطَّ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنَ الْغَيْرِ فَارْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى (٢) أَحَدًا بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَحَصَلَ نَفْعٌ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لغيرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ. فَتَنْظِيرُ ذَلِكَ حَدِيثُ اللَّبْوَةِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبِرِ. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: رَعِمُوا أَنْ لَبْوَةً كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ (٣) وَلَهَا شِبْلَانِ وَأَنْهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَفَتْهُمَا فِي كَهْفِهِمَا، فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ

(١) اللَّبْوَةُ بضم الباء: الأنتى من الأسود. والأسوار بالكسر والضم: الجيد الرمي بالسهام.. والشغبر كما في القاموس: ابن آوى.

(٢) غشى: أتى.

(٣) غيضة: غابة ذات شجرة كثيف.

عليهما ورماهما فقتلتهما وسلخ جلديهما فاحتقبتهما^(١) وانصرف بهما إلى منزله، ثم إنها رجعت فلما رأته ما حلّ بهما من الأمر الفظيع اضطربت ظهرها لبطن وصاحت، وكان إلى جنبها شغبر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها: ما هذا الذي تظنّين وما نزل بك فأخبريني به. قالت اللبؤة: شبلاي مرّ بهما إسوار فقتلتهما وسلخ جلديهما فاحتقبتهما ونبذهما بالعراء^(٢) قال لها الشغبر: لا تصجّي وأنصفي من نفسك، وأعلمي أنّ هذا الإسوار لم يأت إليك شيئاً إلاّ وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين إلى غير واحدٍ مثله ذلك ممّن كان يجد بحميمه^(٣) ومن يعزّ عليه مثل ما تجدين بشبليك فأصبري على فعل غيرك كما صبر غيرك عليه منك، فإنه قد قيل كما تدين تدان ولكلّ عملٍ ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره.

قالت اللبؤة: بين لي ما تقول وأفصح لي عن إشارته، قال الشغبر: كم أتى لك من العمر؟ قالت اللبؤة: مائة سنة. قال الشغبر: ما كان قوتك؟ قالت اللبؤة: لحم الوحش. قال الشغبر: من كان يطعمك إياه؟ قالت اللبؤة: كنت أصيد الوحش وأكله. قال الشغبر: رأيت الوحوش التي كنت تأكلين أما كان لها آباء وأمات؟ قالت: بلى. قال الشغبر: فما بالي لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والأمات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك؟ أما إنه لم ينزل بك ما نزل إلاّ لسوء نظرك في العواقب وقلة تفكيرك فيها وجهالتك بما يرجع عليك من ضررها.

فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الشغبر عرفت أنّ ذلك ممّا جنت على نفسها وأن عملها كان جوراً وظلماً، فتركت الصيد وانصرفت عن أكل

(١) احتقبتهما: حملهما.

(٢) نبذهما بالعراء: ألقاهما في الفضاء.

(٣) الحميم: القريب.

اللحم إلى أكل الثمار والنسك والعبادة. فلما رأى ذلك الورشان^(١) وكان صاحب تلك العيضة وكان عيشه من الثمار قال لها: قد كنت أظن أن الشجر عامنا هذا لم يحمل لقلّة الماء، فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت إلى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه، علمت أن الشجر العام أثمرت كما كانت تُثمر قبل اليوم وإنما أتت قلة الثمر من جهتك، فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشهم منها ما أسرع هلاكهم إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتاداً لأكلها! فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما انصرف بصره يصبه عن ضر الناس كاللبوة التي انصرفت لما لقيت في شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة.

والناس أحق بحسن النظر في ذلك فإنه قد قيل: مالا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك... فإن في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضا الناس.

(١) الورشان: طائر وجمعه: ورشان: بتغيير حركتي الواو والراء.